مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الرسالة

(أفسس ٢: ١٤–٢٢)

يا إخوةُ إنَّ المسيحَ هو سلامُنا هو جعلَ الإثنين واحداً ونقضَ في جسدِه حائطَ السِّياجِ الحاجزَ أي العداوة* وأبطلَ ناموسَ الوصايا في فرائضِه ليخلُقَ الإثنينِ في نفسِه إنساناً واحداً جديداً بإجرائه السلام* ويُصالحَ كليهما في جسدٍ واحدٍ مع اللهِ في الصليبِ بقتلِه العداوةَ في نفسِه* فجاء وبشَّركم بالسلامِ البعيدينَ منكم والقريبين* لأنَّ بهِ لنا كِلينا التوصُّلَ إلى الآبِ في روحٍ واحد* فلستُم غرباء بعدُ ونُزَلاء بل مواطِني القديسينَ وأهلَ بيتِ الله* وقد بُنيتم على أساسِ الرسلِ والأنبياءِ وحجرُ الزاويةِ هو يسوعُ المسيح نفسَهُ* الذي به يُنسَقُ البُنيانُ كلُّه فينمو هيكلاً مقدَّساً في الربِّ* وفيه أنتم أيضاً تُبنَونَ معاً مَسكِناً للهِ في الروح.

الشافي والمعطي الحياة

في القراءة الإنجيلية لهذا اليوم مشهدان مستقلان في حيثياتهما، لكن محورهما واحد وهو أن الرب يسوع المسيح هو المعطي الحياة. صحيح أننا بإزاء صبية أماتها المرض وامرأة ما زالت تعاني من نزف دمها منذ إثنتي عشرة سنة، والدم في أماكن عدة في الكتاب الإلهي معناه الحياة.

نبدأ بالنازفة الدم. إمرأة «أنفقت معيشتها كلّها على الأطباء ولم يستطع أحد أن يشفيها». وهي بنظر الشرع الموسوي دنسة (لا و ١٢: ١، ١٥: ٩)، وقد علمت بالإيمان اليقين أن هذا المار من هنا هو شافيها. نقول علمت «بالإيمان اليقين» لأنها اكتفت بالتسلل من خلفه وغاية مسعاها أن تلمس «هُدب ثوبه» عالمة أنها ستبرأ. لا شك أنها كانت خجلة من «دنسها» إزاء الشريعة من جهة، وإزاء من هو أطهر من الطهر. ولعلّ ما شجعها على السعي علمها أنه أطهر من الطهر، وبالتالي لا يمسه دنس. في هذه المرأة هنا صورة المؤمن الحقيقي الذي من جهة يعي خطيئته (دنسه)، ومن جهة أخرى لا ييأس من خلاصه ويعرف من أين يأتيه الخلاص (الشفاء). نفس المؤمن الحقيقي متّضعة وواثقة في آن. لو اكتفت المرأة هذه بيأسها بعد فشل الطب طيلة إثنتي عشرة سنة، وهو يأس بالمنطق البشري البحت مبرّر، لماتت وهي تنظر دمها يفرغ من جسمها قطرة قطرة. لعل المرأة النازفة هنا تذكّرت المزمور المتحدّث عن «الطيب النازل على اللحية، لحية هرون، النازل على ذيل قميصه» وعلمت أن هرون كاهن العهد القديم إنما كان رمزاً للمسيح الكاهن الأعظم، فاندفعت لتلمس «ذيل قميصه». القديس يوحنا الذهبي الفم يقول إن هذه المرأة فهمت سر التجسد الإلهي بأعمق أبعاده، أن الألوهة بكليتها حلّت في يسوع الناصري ولم ينقص منها شيء. والنعمة الشافية التي فيه امتدت إلى ذيل قميصه، ولم ينقص منها شيء، أما الشفاء فكان فورياً ناجزاً: «للوقت وقف نزف دمها». الشفاء الآتي من يسوع، وحده الشافي الحقيقي، فوري وناجز.

بيد أن لا شيء يخفى عن الله، وابن

العدد ٤٥/٢٠١٠

الأحد ٧ تشرين الثاني

تذكار القديسين الشهداء الثلاثة والثلاثين المستشهدين في ملطية وأبينا البار لعازر العجائبي الذي نسك في جبل غليسيوس

اللحن السابع

إنجيل السَحَر الثاني

الإنجيل

(لوقا ٨: ٤١-٥٦)

في ذلك الزمان دنا إلى يسوعَ إنسانٌ اسمُه يايرُسُ وهو رئيسٌ للمجمع وخرَّ عند قَدَمَيْ يسوعَ وطلبَ إليه أن يدخُل إلى بيتِه* لأنَّ له ابنةً وحيدةً لها نحوُ اثنتَيْ عَشْرَةَ سنةً قد أشرَفَتْ على الموت. وبينما هو منطلِقٌ كان الجموعُ يزحمونَهُ* وإنَّ امرأةً بها نَزْفُ دم منذ اثنَتَيْ عَشْرَةَ سنةً وكانت قد أنْفَقَتْ معيشَتَها كلَّها على الأطبَّاءِ ولم يستطِع أحدٌ أن يَشفِيَها* دنَتْ من خَلْفِه ومسَّت هُدْبَ ثوبِه وللوقت وقفَ نَزفُ دمِها* فقال يسوعُ مَن لَمَسَني. وإذ أنكَرَ جميعُهم قالَ بطرسُ والذين معه يا معلِّمُ إنَّ الجموعَ يضايقونَك ويزحمونَك وتقول مَن لَمَسَني* فقال يسوعُ إنَّه قد لَمَسَني واحدٌ. لأنّي علِمتُ أنّ قوَّةً قد خرجَتْ منّي* فلمَّا رأتِ المرأةُ أنَّها لم تَخْفَ جاءت مرتَعِدةً وخرَّت له وأخبَرَتْ أمامَ كلِّ الشعبِ لأيّةِ علَّةٍ لمستهُ وكيف برئت للوقت* فقال لها ثِقي يا ابنةُ. إيمانُكِ أبرأكِ فاذهبي بسلام* وفيما هو يتكلَّمُ جاء واحِدٌ من ذوي رئيسِ المجمعِ وقال لهُ إنَّ ابنتَكَ قد ماتَتْ

الله الذي أتى إلى مأساة بشريتنا لكي يبث في مرضها شفاءه وفي موتها حياته عرف أن «قوة» خرجت منه لأن هذه المرأة بإيمانها مست قلبه لا هدب ثوبه وحسب، وكأنها أيضاً بقوة إيمانها انتزعت منه الشفاء انتزاعاً، على ما يفسّر أيضاً القديس يوحنا الذهبي الفم. والرب إن توقف وأعلن هذا، لم يبتغِ التشهير بها بل إبراز عظم إيمانها قدوة. ولما أتت أمامه وخرّت عند قدميه «مرتعدة»، شدّدها السيد بقوله «ثقي»، بل سمّاها «ابنة» (رغم سنّها المتقدم على الأرجح) ضاماً إياها إلى العائلة التي أتى هو ليؤسسها على الأرض، عائلة أبناء الله.

شفاء النازفة حدث بينما كان يسوع منطلقاً إلى بيت يايرُس ليشفي ابنته المريضة ذات الإثنتي عشرة سنة. وقد سمع ما قاله المرسلون عن موت الإبنة فخاطب الأب على الفور قائلاً «لا تخفْ، آمنْ فقط فتبرأ هي». بشرى الحياة تغلب خبر الموت. وحيثما يكون المسيح، ينتفي الموت. وللباكين في البيت قال إنها لم تمت، فضحكوا عليه. منطق العالم يسخر عادة من يقين الإيمان. نواميس الطبيعة تقول إن الصبية ماتت، فهي بالنسبة إليهم إذاً ميتة. إنما لمن في يده الحياة والموت رأي آخر. يأتي إليها، يمسك بيدها، وبصيغة الأمر يرد الحياة إليها. من جهتها تقوم الصبية في الحال، فيأمر الرب بأن تُعطى لتأكل. في الأمرين معاً تأكيد على عودة الحياة بشكلها الطبيعي وبكافة وظائفها إلى الصبية، وتثبيت للحدث الباهر تثبيتاً نهائياً، وكأن الموت ما كان. في رمزية هذه الرواية أن البشرية التي أماتتها الخطيئة وهي بعد فتية، متى قامت بأمر الرب تقوم على ملء الحياة، وكأن موتها بسبب الخطيئة ما كان.

الملائكة

في الثامن من تشرين الثاني تقيم الكنيسة المقدسة، ومنذ القرن الرابع، تذكاراً جامعاً لرؤساء الملائكة ميخائيل وجبرائيل وروفائيل وسائر رؤساء الملائكة. مَن هم الملائكة وما هي طبيعتهم وما هي علاقتهم بالبشر؟

كلمة ملاك باللغتين العبرية واليونانية تعني رسول، مُرسَل، مبشِّر، منذر. وبالتالي فإن وظيفتهم، من خلال معنى اسمهم، هي نقل إرادة الله إلى البشر: «أليس جميعهم أرواحاً خادمة مرسَلَة للخدمة لأجل العتيدين أن يرثوا الخلاص» (عب ١: ١٤). هذا إلى جانب وظيفتهم الأساسية وهي تمجيد الله وتسبيحه على الدوام: «قدوس، قدوس، قدوس» (اشع ٦: ٣، رؤ ٤:٨). فهم يحيطون بعرش الله ولذا لا بد أن يسبّحوه دائماً لأنهم مذهولون من معاينتهم بهاء مجده.

عندما نتلو دستور الإيمان «أؤمن بإله واحد...» نقول: «خالق السماء والأرض وكل ما يُرى وما لا يُرى». العالم الذي «لا يُرى» هو عالم السموات غير المنظور، عالم الملائكة غير المنظورين. إذاً فالله هو خالق الملائكة، خالقهم من العدم إلى الوجود كما خلق كل الخليقة المنظورة: «أنت صنعتَ السمواتِ وسماءَ السمواتِ وكلَّ جُندِها والأرضَ وكلَّ ما عليها والبحارَ وكلَّ ما فيها وأنت تُحييها كلَّها وجندُ السماءِ لك يسجُدُ» (نحميا ٩: ٦، راجع أيضاً كو ١:١٦). وقد خلقهم الله على صورته الخاصة، طبيعة لا جسمية، على

فلا تُتعب المعلِّم* فسمعَ يسوعُ فأجابه قائلاً لا تَخَفْ. آمِن فقط فتبرأ هي* ولمَّا دخل البيتَ لم يدَعْ أحداً يدخل إلاّ بطرسَ ويعقوبَ ويوحنَّا وأبا الصبيَّةِ وأمَّها* وكان الجميعُ يَبكون ويَلطُمون عليها. فقال لهم لا تبكوا. إنَّها لم تَمُتْ ولكنَّها نائمة* فضحِكوا عليه لِعلمهم بأنَّها قد ماتت* فأمسَك بيدِها ونادى قائلاً يا صبيَّةُ قومي* فرجَعَتْ روحُها وقامت في الحال فأمَرَ أن تُعطى لِتأكلَ. فدَهِشَ أبواها فأوصاهُما أن لا يقولا لأحدٍ ما جرى.

تأمل

«وفيه أنتم أيضاً تبنون معاً مسكناً لله في الروح» (أف ٢: ٢٢).

إن المسيحيين الذين يريدون أن يحيوا في الواقع حياة مسيحية يعبرون فوراً كل تجربة للخطيئة ويجتثون من نفوسهم كل جذور الشر ويحفظون قلوبهم نقية كهيكل ومسكن للرب لأنهم يعرفون ان كل بيت مقدس يجب أن يبقى نظيفاً خالياً من كل دنس. نفس المسيحي المكرسة لله هي أسمى من الأواني المقدسة وغير مسلوكة قط. لا يدخل إليها الذين يبيعون ويشترون والصيارفة والعشارون، أي كل شيء مثال ريح ونار لا مادية، كما يقول كاتب المزامير: «الصانع ملائكته رياحاً (أرواحاً) وخدَّامه لهيب نار» (مز ١٠٣:٤). الملاك لا جسم له أما جوهره فلا يعرفه أحد إلاّ الخالق وحده.

إذاً، الملائكة أرواح لا جسمية ولا مادية (عب ١: ١٤)، غير منظورة (كو ١: ١٦)، لا يُزوّجون ولا يتزوجون (متى ٢٢: ٣٠) ولا يموتون (لو ٢٠: ٣٦) أي خالدون، لا بالطبيعة بل بالنعمة. لأن كل من ابتدأ، فبموجب طبيعته ينتهي أيضاً. كما انهم مخلوقات عاقلة حكيمة (٢ صمو ١٤: ١٧ و٢٠)، حرّة (٢ بط ٢: ٤)، مُحبَّة وتفرح لرجوع الخطأة (لو ١٥: ١٠). جدير بالإشارة ان للملائكة إرادة حرّة. فهم بإرادتهم الحرَّة يمجدّون الله وينقلون مشيئته للبشر. هناك عدد من الملائكة الذين بإرادتهم اختاروا أن لا يكونوا مع الله وبسبب كبريائهم سقطوا. هولاء نسمّيهم الملائكة الساقطون أو الشياطين. في إطار خدمة مشيئة الله ونقل هذه المشيئة إلى البشر قد يظهر الملائكة أحياناً بهيئة بشرية أو مع أجنحة أو متكلمين كلاماً بشرياً أو آكلين أو لابسين، وهذا يجب أن لا يدفعنا إلى الإعتقاد بأن للملائكة أجساداً. فالله يسمح بمشيئته، نظراً لضعفات البشر، أن تظهر الملائكة بأجسام للبشر الذين لا يستطيعون أن يعاينوا ما هو غير منظور، وذلك لنقل إرادته إليهم بواسطة خدَّامه كظهور الملاك جبرائيل للعذراء مريم ليبشِّرها بأنها ستحبل وتلد ابناً يكون مخلّصاً لكل العالم (لو ١: ٢٦)، وكظهور الملاكين للوط، ابن أخ إبرهيم، في سدوم وتخليصهما إياه مع عائلته من يد أهل سدوم قبل أن يُمطر الله ناراً وكبريتاً على المدينة (تكوين ١٩).

عدد الملائكة كبير جداً وغير قابل للحصر. فالكتاب المقدس يتكلّم عن جيش الملائكة وربوات وملايين منهم (دا ٧: ١٠، عب ١٢: ٢٢، رؤ ٥: ١١). وتعلّم الكنيسة، إستناداً إلى الكتاب المقدَّس وكتابات الآباء ومنهم القديس ديونيسيوس الأريوباغي، أن في هذا العالم الروحي نظاماً وتسلسلاً، إذ ينقسم الملائكة إلى تسع طغمات أو رتب تتوزع في ثلاثة صفوف بحسب قربهم من الله: السيرافيم ذوو الستة الأجنحة والشاروبيم الكثيرو الأعين والعروش الفائقو القداسة، السيادات والقوات والسلاطين، والرئاسات ورؤساء الملائكة والملائكة. نجد هذه التسميات في كو ١: ١٦، أف ١: ٢١، ١ بط ٣: ٢٢، أشع ٦: ٢) أما الفرق بين هذه الرتب فنجهله نحن البشر ونتكلّم عن الملائكة بمقدار ما أعطي لنا أن نعرف من خلال ما أُعلن لنا في الكتاب المقدس. ولكن ما يمكننا قوله ان الملائكة تحيا في شركة وثيقة مع بعضها وتعمل بحسب إرادة الله ومشيئته بطاعة مُحبّة. نذكر هنا ان الكتاب المقدس يورد ثمانية من أسماء رؤساء الملائكة: ميخائيل (أي مَن مثل الله؟)، جبرائيل (أي جبروت الله)، روفائيل (أي دواء الله، أو شفاء الله أو الله الشافي)، أورئيال (أي ناراً ونور الله)، صلا تئيال (أي مَن يصلّي إلى الله)، جاغدبال (أي مَن يمجّد الله)، برخيال (أي بركة الله)، وارميال (أي سمو الله).

يذكر الكتاب المقدس ان لكل مؤمن ملاكاً حارساً يرافقه من المهد إلى اللحد. هذا ما نستنتجه من

بطال خاطئ. لأنه إذا كنا ملزمين بالمحافظة على نقاوة الهيكل ونظافته كهيكل للرب فبالأحرى أن نحافظ على نقاوة نفوسنا كمؤمنين.

ما أثقل الخطيئة، خطيئة تدنيس النفس، هذا الهيكل الإلهي الحي! ندرك ثقلها من الطريقة التي جابه بها المخلّص الذين دنسوا الهيكل. لم يستعمل الرب التعليم والنصح بل استعمل الغضب الإلهي والسوط. أراد أن يعلّم، بهذه المعاملة القاسية، لا عن قداسة الهيكل فقط بل عن قداسة هيكلنا الحي، عن نفسنا، وإلى أي حد يجب أن يبقى المؤمن نقياً في هدوئه الروحي بعيداً عن ضجيج العالم والخطيئة. نحتاج إلى ألم مقدس وقوة روحية وانتباه يقظ، وكذلك إلى يد الله القدير لنبعد الاضطراب والضجيج النفسي الذي تسببه الخطيئة في داخلنا، في هذا الهيكل الإلهي. كان مدنس الهيكل في العهد العتيق يعاقب بالموت وكان قدس الأقداس مفصولاً عن الهيكل كمكان غير منظور، لا يجوز الدخول إليه. أصيب عوزيا بالبرص لأنه دنّس المقدسات. كانت هذه كلها رموزاً ترمز إلى ضرورة بقاء هذا الملجأ، هذا الهيكل الحقيقي لله، نفس المسيحي، نقياً.

القديس يوحنا الذهبي الفم

حديث الرب يسوع عن عدم احتقار الصغار: «أنظروا لا تحتقروا أحد هؤلاء الصغار، لأني أقول لكم ان ملائكتهم في السموات كل حين ينظرون وجه أبي الذي في السموات» (متى ١٨: ١٠).

من أقوال الآباء

لا تستبدل محبة أخيك بأية محبة أخرى، لأنه يخفي في داخله أثمن الأشياء. إزدرِ ما هو تافه لتجد كل ثمين. كن ميتاً في حياتك فتحيا بعد الموت. أن تُسلم ذاتك للموت في الجهادات أفضل من أن تسلك في التهاون، لأن الشهداء هم الذين يموتون في سبيل حفظ وصايا المسيح وليس الذين قبلوا الموت إيماناً به فقط. لا تكن جاهلاً في طلبتك لئلا تصبح صلاتك تجديفاً، بل كن حكيماً حتى تؤهّل للأمجاد. أطلب الأمور الكريمة من الذي لا يرفض (الله) فتنال منه الكرامة بسبب حكمتك في الطلب. سليمان طلب حكمة فنال معها ملكاً أرضياً لأنه طلب من الملِك العظيم بحكمة. أليشع طلب نعمة الروح التي عند معلمه فنالها مضاعفة. مَن يطلب الأمور التافهة يستهين بكرامة الملِك، كما فعل إسرائيل عندما طلب أموراً دنيئة فنال غضب الله. لقد أهمل التعجب في معجزاته الرهيبة وطلب شهوة بطنه (مز ٧٧: ٣٤)، فلم يبتلعوا طعامهم حتى طلع عليهم غضب الله. قدّم طلباتك لله بما يليق بمجده فيعظم مقامك عنده ويُسرّ بك. فالذي يطلب الزبل من الملِك لا يكون قد حقّر نفسه بدناءة طلبه وحسب، بل يكون قد تتطاول على الملِك أيضاً، وهكذا مَن يطلب الأرضيات بصلواته إلى الله. إعلم أن الملائكة ورؤساء الملائكة يشخصون إليك وأنت تصلّي وأنهم سيندهشون ويفرحون عندما تهمل جسدك وتطلب السماويات، وسيشمئزون إذا رأوك تطلب الأرضيات ووساختها تاركاً السماويات.

لا تطلب من الله ما يهتم هو بإعطائه لنا دون سؤال. إنه لا يهتم بأخصائه المحبوبين وحسب بل بالغرباء عن معرفته أيضاً. لا تكونوا مثل الوثنيين الذين يكثرون الكلام في الصلوات (متى ٦:٧). أمّا أنتم فلا تهتموا بما تأكلون وتشربون وتلبسون لأن أباكم يعرف حاجتكم لها. الإبن لا يطلب من أبيه خبزاً، بل ما هو أعظم وأسمى في بيت أبيه. إن الرب عندما أوصى بطلب الخبز إنما فعل ذلك من أجل ضعف الذهن البشري، أمّا الكاملين في المعرفة وأصحّاء النفس فقد أوصاهم: لا تهتموا بالأكل أو باللباس. فإذا كان يهتم بالحيوانات والطيور وحتى بالجمادات فكم بالأحرى يهتم بنا. «فاطلبوا أولاً ملكوت الله وبرّه وهذه كلها تزاد لكم» (متى ٦: ٣٣).

القديس إسحق السرياني

عيد رؤساء الملائكة

بمناسبة عيد رؤساء الملائكة يترأس سيادة راعي الأبرشية المتروبوليت الياس خدمة صلاة الغروب عند السادسة من مساء الأحد ٧ تشرين الثاني ٢٠١٠ وخدمة القداس الإلهي عند التاسعة والنصف من صباح الإثنين ٨ تشرين الثاني في كنيسة رئيسي الملائكة ميخائيل وجبرائيل في المزرعة.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb